

شبابنا كيف نرعاهم؟

سعيًا إلى التكيف مع الواقع. أما في المجال الاجتماعي فنرى مركز الثقل النفسي ينتقل من الاهتمام بالذات، إلى التوافق مع المجتمع.

فالشباب هم عماد الأمة ومستقبلها، وهم الثروة الحقيقية للوطن، ولا بد للشباب من رعاية، ولا تتم هذه الرعاية بشكل عشوائي أو أسلوب تلقائي، بل يجب أن يخطط لها تخطيطاً استراتيجياً يتوافق مع الرؤية المستقبلية للأمة، بحيث تتمكن من أداء رسالتها والوصول بها إلى تحقيق الأهداف القومية. إن التخطيط الاستراتيجي يتطلب منا التعرف على الحاجات الأساسية للشباب، ووضعها في الحساب، للعمل على تليبيتها والتعامل معها على نحو مناسب، فالحاجات عادة ما ترتبط بالدوافع، والقاعدة تقول: كلما ظهر دافع من الدوافع مهد لظهور الحاجة المناسبة له.

إن هذه الحاجات تتطلب الإشباع، فإذا ما أشبعت على نحو كريم، كان العائد منها سليماً وكريماً، عندها يسهم هذا الإشباع في تكوين وتنشئة الشاب على النحو المطلوب، فإذا لم يتحقق هذا الإشباع على النحو السليم، فإن الشباب سوف يسعى إلى إشباعها من خلال تلبية الدوافع الخاصة بأسلوب مختلف، وغالباً ما يؤدي إلى مشاكل، هذه المشاكل قد تتراكم فتؤدي بالشباب إلى الضياع. فالفتات الضالة قد تتقدم لإشباع حاجات الشباب بتوجيهات منحرفة، تؤدي بهم إلى الانحراف، وهذا ما نشاهده في الشباب المنحرف إلى اللهو أو إلى الفساد أو إلى الجريمة.

والفتات المتطرفة قد تتقدم للشباب المهمل، فتتولى حقنه بشحنات التطرف، عندها يصبح مؤهلاً للانخراط في زمرة الإرهابيين، فيصبح عامل هدم للأمة ومكتسباتها، ويعمل على تدميرها من حيث يعتقد أنه يحميها أو يصلحها، وفي هذا يقول الإمام الشافعي: نفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل.

إن التعرف على حاجات الشباب والعمل على إشباعها بالطرق الصحيحة، يتطلب منا تليبيتها، طالما كان ذلك في صالح الشباب والمجتمع، إلى جانب النظر في مواجهة الحاجات التي يتعذر إشباعها بالأسلوب المناسب، وذلك بأن يكون لهم دور إيجابي في الكشف عن



د. أنور ماجد عشقي

يعبر العلماء عن سن الشباب بأنها مرحلة من مراحل العمر يمر بها الإنسان ذكراً كان أو أنثى في مسيرته الحياتية.

إن مفهوم الشباب يخضع لعدة معايير، منها ما يعتمد على معيار الخصائص والاحتياجات، ومنها ما يعتمد على البلوغ الجنسي والنمو الجسمي، ومنها ما يعتمد على النضج العقلي والتكامل الاجتماعي للشخصية، لكن المعيار الزمني يبقى هو المعيار الأكثر وضوحاً، والأقرب للفهم.

والإنسان يمر في حياته بمراحل زمنية معينة، ولكل مرحلة سمات وخصائص تميزها عن غيرها، فالمعيار الزمني لتحديد مرحلة الشباب يسير في اتجاهات

ثلاثة، فمن العلماء من يرى أن مرحلة الشباب تبدأ من الثالثة عشر وتنتهي في الثلاثين، ومنهم من يرى أنها تبدأ في الخامسة عشر وتنتهي بالثلاثين، ومنهم من يرى أنها تبدأ في الخامسة عشرة وتنتهي بالخامسة والعشرين، وهذا الاتجاه الأخير هو الذي أقره المؤتمر الأول لوزراء الشباب العربي في القاهرة عام ١٩٦٩م.

لقد حاز هذا التحديد انسجاماً مع المفهوم الدولي المتفق عليه في هذا الشأن، ولأن العالم العربي له ظروف خاصة، ولشخصية الشباب طبيعة مميزة تستوجب رعاية عميقة ومتكاملة، فإن مرحلة الشباب في العالم العربي تسبق سن الخامسة عشر وتمتد إلى ما بعد الخامسة والعشرين وفق متطلبات الشباب في كل قطر عربي، وبشكل خاص المملكة العربية السعودية.

فالإسلام حدد سن الشباب ببداية مرحلة التكليف، فقال تعالى: ((فإذا بلغ الأطفال منكم الحلم))، فالبلوغ هو العلامة الواضحة لبداية سن الشباب، فمرحلة الشباب مرحلة انتقالية يمر بها الإنسان في حياته، لها مقوماتها النفسية، ولها ظروفها الاجتماعية، ولها خصائصها البيولوجية، ولها أبعادها التاريخية، وهذه المرحلة إما أن تكون عاصفة تروج بالمخاطر أو هادئة تخلو من الصوبات، وهذا يتطلب منا فهم المرحلة والتعامل معها.

هذه المرحلة تسبقها مرحلة المراهقة، فتتداخل معها في السنوات الأولى، إذ تنتهي مرحلة المراهقة بسن الخامسة عشر، وقد تمتد إلى الثامنة عشر، وهذا ما يدعونا إلى معرفة خصائص مرحلة الشباب وانبثاقها من مرحلة المراهقة.

ولمرحلة الشباب خصائص أربعة، خصائص جسمية، وخصائص انفعالية، وخصائص عقلية، وخصائص اجتماعية، فنجد الجسم في الخصائص الجسمية ينمو باتزان واكتمال ليشكل ملامح الفتى والفتاة، من حيث سمات الرجولة والأنوثة، كما تأخذ الغدد الجنسية في الاكتمال، فتؤدي وظائفها باقتدار. أما في المجال الانفعالي، فنجد الصراع بعد المراهقة قد بدأ بالهدوء والشحنة الانفعالية أخذت في التراجع، ولو نظرنا إلى العقل، لوجدناه في هذه المرحلة قد أخذ في التفكير الموضوعي، ولرأينا أكثر خضوعاً للأغراض العملية، وأكثر



هذه الحاجات، والتعبير عنها ومواجهتها بتنمية قدراتهم على التفكير المنطقي، إلى جانب التعبير بوضوح عن أفكارهم، وأيضاً على القراءة والاستماع لأفكار غيرهم بفهم وإدراك.

إن حاجات الشباب، ليس من الضرورة أن تكون منطقية ومستقيمة، فلعدم جموحها وشططها يتطلب منا الأمر، الاهتمام بالتربية الروحية القوية للشباب، حتى يمكن لنا أن نساعدهم على غرس مجموعة من القيم والمبادئ في ضمائرهم، بحيث تصاغ في إطار نظام أخلاقي محكم يتبلور لديهم، فيتحول إلى فلسفة حياة، فهناك حاجات أساسية يشترك فيها الشباب بصفة عامة، طبقاً لخصائص تعَم الشباب، تتباين هذه الحاجات وتختلف من مجتمع إلى آخر وفقاً لاثنتين المناخ والمستوى الحضاري، وما يتعلق بها من أساليب المعيشة والتربية والقيم، بالإضافة إلى التقاليد والعادات والحياة السياسية والنشاط الاقتصادي وغير ذلك من الخصائص.

ومع هذا، فإن هناك حاجات أساسية للشباب، تختلف عن الشابات، وعلى الباحث الاجتماعي أن يستنبط الحاجات الأساسية للشباب السعودي، الذي يعتبر جزءاً من شباب الأمة العربية والإسلامية، يُؤثر فيه الإسلام، ومن هذه الحاجات، حاجات جسمية، وحاجات انفعالية، وحاجات عقلية، وحاجات اجتماعية.

إن نمو المجتمعات وتقدم الأمم يتوقف إلى حد كبير على الشباب، فهو يأتي في مقدمة الموارد البشرية وأكثرها طاقة وفاعلية، فالشباب هم الثروة الحقيقية للأمة والدرع الواقي لها، فهم مادة البناء عند التنمية، وهم السلاح المدافع عن الوطن عند الشدائد، وهم معول الهدم عند الفساد والانحلال.

إن موارد المجتمع مهما كانت شحيحة، إذا تعرضت للدمار والنكسات، فإنها سوف تنهض من جديد، وتنتقل بفضل الشبان الذين توفرت لهم مقومات البناء، وتم إعدادهم المسبق في أوقات السلم والرخاء، فالأأم التي أعدت شبابها سرعان ما تنهض من كبوتها إذا ما تعرضت لنكسة من النكسات، أو نكبة من النكبات، لقد نهضت اليابان من أنقاض الدمار في الحرب العالمية الثانية بسبب ما لحقها من هزائم بفضل إعداد الشباب الياباني، وكذلك الحال بالنسبة لألمانيا الغربية التي أعدت شبابها، بينما ألمانيا الشرقية لم تحسن إعدادهم، فلم تتمكن من التطور الذي وصلته شقيقتها، فكيف يتم إعداد الشباب؟

لا يعتبر الشباب قطاعاً مختلفاً أو مستقلاً عن قطاعات المجتمع الأخرى، فهو قطاع أفقي يدخل في تركيب القطاعات الرأسية المختلفة، كما أن الشباب يمثل الثقل الأكبر في الإنتاج والخدمات والدفاع، بفضل الخصائص البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي يمتاز بها.

وقطاع الشباب يشكل القدر الأكبر في مراحل التعليم، باعتبار أن الطلاب هم الطليعة المثقفة الواعية، ويعتبر الشباب تعبيراً واضحاً لإرادة التغيير والتقدم، فيسهمون في مسؤولية النضال بما يتميز به من قدرة فائقة على التعليم والابتكار وعدم القبول بالأمر الواقع، بل

يسعى إلى المناقشة والتعديل والتغيير وفقاً لظموحاته وآماله. أما المفهوم الإجرائي السائد لرعاية الشباب، فهو مجموعة الخدمات المهنية ذات الصيغة الوقائية التي تؤدي للشباب فتدفع بهم إلى الوصول إلى حياة تسودها العلاقات السليمة، والمستويات الاجتماعية التي تسائر رغباتهم وإمكاناتهم وتتلاقى مع آماني المجتمع الذي يعيشون فيه.

فرعاية الشباب هي مجموعة من العمليات التشريعية، والتخطيطية، والتربوية، والتنفيذية التي تستهدف إيجاد دور للشباب، وتتيح الفرصة أمامهم للمشاركة في عمليات التنمية والتقدم للمجتمع.

لقد بنى عليه الصلاة والسلام منهجه لرعاية الشباب على الواقعية، فبين بوضوح حالة الشباب النفسية بصورة دقيقة فقال: (الشباب شعبة من الجنون) بعدها بين عليه الصلاة والسلام أهمية حسن الخلق والكرم، لأن الشباب بطبعة منتج وقادر على الكسب، ولا بد له من السخاء، كما أن الشباب له صبوة، فبين أن تهذيبها يتمثل في حسن الخلق فقال عليه الصلاة والسلام: "شاب سخي حسن الخلق أحب إلى الله من شيخ بخيل عابد سيء الخلق"، بعدها أبان النبي صلى الله عليه وسلم عن عزة الشباب في الدنيا والآخرة، وأهمية علاقته بربه فقال: "إن الله تعالى يُباهي بالشباب العابد الملائكة يقول: انظروا إلى عبدي ترك شهوته من أجلي"

إن المنهج النبوي في رعاية الشباب يقوم على إصلاح الذات، وذلك من خلال دفع المسلم إلى إصلاح نفسه ومحاسبتها، وذلك قوام الإبداع، لأن الشاب إذا كان تحت التوجيه من الخارج فقد روح الإبداع، وتجذرت فيه روح التقليد والتبعية، فإذا التقى بأصحاب السوء أصبح سيئاً، وإذا التقى بأصحاب الخير كان خيراً، ولا بد من إيقاظ التقوى في نفوس الشباب عن طريق الخوف من الله ومحاسبة النفس. وفي حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله منهم شاب نشأ في عبادة الله، فالتنشئة الروحية السليمة هي التي تشكل سلوك الشاب، فبعد أن استهل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بالإمام العادل، قدم الشباب، فقال: وشاب نشأ في عبادة الله ثم تكلم عن الرجال كي يظهر للشباب أنه لن يبلغ الرجولة الصالحة إلا بالصفات الخمس الباقية فقال: ورجل قلبه معلق بالمسجد ورجلين تحابا في الله، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه، ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم دفع بالشباب إلى التحلي بكل هذه الصفات، حتى ينال رضا الله عز وجل، وبهذا يكون قد أعد الشاب للمسؤولية تجاه دينه ووطنه ومجتمعه.

فالإسلام حدد اهتمامه بالرعاية الجسمية والصحية والعقلية والروحية للشباب، نسأل الله عز وجل أن يوفقنا في توجيه شبابنا وتنشئتهم النشأة الصالحة بعيداً عن الانحراف والتطرف.